Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(8), June 2018

Article History		
Received/Geliş	*Accepted/ Kabul*	*Available Online / Yayınlanma*
29 /4/2018	5 /6/2018	10 /6/2018

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

استاذ مشارك / قسم الاثار / جامعة الخرطوم

الملخص

تتناول هذه الورقة تاريخ واثار فترة مهمة من تاريخ السودان – الفترة الاسلامية العثمانية – في منطقة تعتبر احدي اهم بوابات دخول الاسلام الي افريقيا، وهي السودان. وهي من الفترات التي لم تنل حظها الوافر من الدراسة، عدا القليل من الكتابات. وتحاول الورقة ابراز اهم اثار تلك الفترة الموجودة في السودان (في ظل الاكتشافات الجديدة) والتي تضم منطقة الشلال الثالث (المحس) وابريم وصاي وسواكن في شرق السودان . تشمل الدراسة ابراز اهم انواع العمارة الاسلامية العثمانية الموجودة بها مثل القلاع والحصون والمنازل. ذلك لان الهدف من البحث هو التعريف بهذه الفترة وتلك المنطقة ووضعها في اطارها الصحيح داخل منظومة الاثار الاسلامية بصورة عامة والعثمانية علي وجه الخصوص.

Abstract

This paper highlights on one of the most periods of the history of the Sudan-Islamic Ottoman period-, in a considered one of the most important gates to enter Islam in Africa. This includes the Third Cataract area (el-Mahas), Ibreem, Sai and Suakin in the east Sudan. The archaeological remains included fortresses and houses. The paper light attention of scholars of Islamic archaeology in general and Ottoman archaeology in particular.

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

الموقـــــــع:

يقع السودان ، هذا البلد المترامي الأطراف، بين خطي عرض 4ْ - 23ْ شمالاً ، وخطي طول 22 38ْ شرقاً. حيث تصل مساحته الي حوالي مليون ميل مربع وهو من أكبر دول القارة الأفريقية (3.8% من مساحة أفريقيا) (قبل انفصال دولة جنوب السودان). يحده من الشمال جمهورية مصر العربية وليبيا ، ومن الجنوب دولة جنوب السودان وكينيا ويوغندا والكنغو وغربا تشاد وافريقيا الوسطي وشرقا اثيوبيا واريتريا.

البيئـة الطبيعيـــة والجيلوجيـــا:

يمتلك السودان مناخات متنوعة وبالتالي بيئات مختلفة ، ويتميز كذلك بالمناخ المداري ، ولذا يتدرج مناخه من المناخ الاستوائي في الجنوب (قبل الانفصال) والسافنا في الوسط ثم المناخ الصحراوي في الشمال ، ومنطقة البحر الاحمر في الشرق والتي تتميز بمناخ البحر الابيض المتوسط وبامطار شتوية. وتهطل اغلب امطار السودان في فصل الصيف ، وتتدرج في مدتها وكميتها من الجنوب الي الشمال ، وهنالك امطار قليلة في الشتاء علي سواحل البحر الاحمر الغربية. وتتأثر النباتات الطبيعية في نوعها وحجمها بثلاث عوامل هي الحرارة والمياه والتربة[1]

الســـــــكان:

كانت الاسماء التي تطلق علي السودان القديم دالة في بعض الاحيان علي نوعية السكان الذين استوطنوا فيه ، كما اطلقت اسماء تدل علي الارض التي عاشوا فيها.وخلال فترات التاريخ المتغيرة ، تعرضت البلاد – والتي كانت مسرحا لاحداث ذلك التاريخ – لهجرات متعددة ، ادت الي تغيير في عناصر سكانها علي مر الزمن ، لكنها طبعتهم بطابعها المميز ، كما حافظت عن طريقهم علي عوامل ارثها الحضاري ، بتوارثها وبتناقلها جيل عن جيل ، مما اتاح لشعب وادي النيل القديم مكانه السامي والمرموق بين الامم والشعوب القديمة[2]

من هذه الاسماء (خنت – حن – نفر) والتي اطلقها المصريين علي هذه البلاد ومعناها الاراضي الجنوبية[3] اما لفظة اثيوبيا والتي استعملها الكتاب القدامي والاثريون المحدثون ، وهي لفظة ينقصها الدقة ، وقد كان السودان معروفا لدي الاغريق منذ القدم ، وقد استخدموا لفظة اثيوبيا لتدل علي الاراضي الواقعة الي الجنوب من مصر ، كما استخدمت اشارة الي لون البشرة (المحروقة او الداكنة) بمعني

1 جغرافية وتاريخ السودان–نعوم شقير–1972م

2 السودان الشمالي، سكانه وقبائله– محمد أحمد عوض– 1956م

3 الاسلام والنوبة في العصور الوسطي– مصطفي محمد مسعد– 1960م – ص7

عام لتشمل معظم الافريقيين والاسيويين ، او بمعني علمي اشارة الي الملامح الزنجية. علي كل استعمال لفظة (اثيوبيا) لم يكن محدد ولا يشمل مجموعة عرقية بعينها ، كما لم تطلق علي منطقة جغرافية محددة. ويبدو ان اسم (اثيوبيا) كان من اختراع الكتاب اليونانيين ويقصد به وطن الزنوج ولم يعرف لهذه المناطق حدود جغرافية واضحة[1] كذلك (واوات) والذي اطلق علي المنطقة الممتدة من اسوان شمالا وحتي الشلال الثاني عند وادي حلفا[2] اما لفظة (تا ستي) والتي تعني ارض القوس ، كناية علي مهارة وشجاعة النوبيين في استخدامهم للقوس ، تشمل في الاسرة الثامنة عشر كل بلاد النوبة حتي الشلال الثاني. ولفظة (تا نحسيو) تحمل المعني الخاص بالزنوج[3] وهنالك من يري ان النحسيو هم السكان الذين يقطنون منطقة الشلال الثالث وهم محس اليوم[4] اما (كاش – كوش) لها عدة معاني لكن الواقع ان هذا الاسم قد اطلق فيما بعد علي كل البلاد التي كان يحكمها (ابن الملك صاحب كوش) ، وقد اشار الي ان كوش علي وجه التقريب هي (اثيوبيا) في العهد اليوناني الروماني[5] كذلك لفظة (النوبة) والتي اخذت اسمها من احد الشعوب التي كانت تقطن علي الضفة الغربية للنيل وهم النوبيون ، ثم اصبح هذا الشعب فيما بعد سيدا عليها خاصة في فترة العصر الوسيط. علي كل تطلق لفظة (النوبة) في العصر الوسيط علي اجزاء كبيرة من وادي النيل الممتدة علي جانبي النهر العظيم بين مدينتي اسوان والخرطوم ، بالاضافة الي مناطق من حوض النيل الازرق والاتبرا حتي اطراف الحبشة ، واجزاء من اقاليم كردفان ودارفور غربا[6] اما لفظة (الزنج) فاشارة الي اللون الاسود وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (Niger).

اما لفظة (بلاد السودان – اي بلاد السود) فقد اطلقها المؤرخين العرب علي البلاد الواقعة الي الجنوب من الصحراء الكبري[7]

مصادر الدراسة:

أهم وأقدم المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع ما كتبه الرحالة التركي ايفيليا شلبي والذي زار السودان في عام 1671م، حيث كان مجلده العاشر عن مصر والسودان(شلبي:1938). وهنالك بعض الإشارات القليلة والعابرة عن الوجود العثماني في شمال السودان،

1 الاسلام والنوبة في العصور الوسطي- مصطفي محمد مسعد- 1960م – ص7

2 تاريخ السودان القديم- محمد ابراهيم بكر -1998م- ص6

3 تاريخ السودان المقارن الي أوائل عهد بعانخي- حسن سليم- بدون تاريخ- ص80

4 مقابلة شفاهية- علي عثمان محمد صالح -2016م

5 تاريخ السودان المقارن الي أوائل عهد بعانخي- حسن سليم- بدون تاريخ –ص79

6 تاريخ دخول المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث- الاب جورج فانتيني – 1978م- ص21

7 تاريخ السودان القديم- محمد ابراهيم بكر -1998م- ص7

والتي ذكرت من قبل بعض المؤرخين أمثال نعوم شقير(1903) وهولت(1963) ومكي شبيكة(1965)، وقد كانت في مجملها إشارات قليلة.

إلا أن هنالك تغيرات حدثت بعد إكمال العمل الأثري بموقع قصر ابريم والكشف عن مجموعة كبيرة من الوثائق والتي تعود لتلك الفترة، وكذلك بعد بدء العمل الأثري بموقع جزيرة صاي ومنطقة المحس وسواكن في شرق السودان. بالإضافة إلي بدء دراسة المخطوطات التركية والعربية والأرشيف العثماني في القاهرة واستانبول، والتي ساهمت في شرح الكثير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والتاريخية بالمنطقة.

دخول العثمانيون السودان:

سيطرت الإمبراطورية العثمانية علي أجزاء كبيرة من شمالي إفريقيا، وكان ذلك في الفترة من القرن السادس عشر حتي القرن التاسع عشر الميلاديين. ومن الأسباب القوية التي أدت إلي توغلها داخل السودان عبر النيل وشواطئ البحر الأحمر هي اهتمامها بسلامة ولاية مصر من جهة، وسياسة التحكم في الجزيرة العربية وشواطئ البحر الأحمر من جهة أخري، من اجل التجارة خاصة الهند[1]

بدأ هذا التوغل في السودان قبل أكثر من ثلاثة قرون من الغزو التركي المصري عام1821م، أي من بداية القرن السادس عشر الميلادي، حيث يري كثيرون أن العام1821م هو البداية الحقيقية لوجود الأتراك في السودان، لكن أثبتت الدراسات الحديثة خطأ هذا الرأي. فقد ثبت أن الوجود التركي كان واضحا في الشلال الثالث، خاصة جزيرة صاي، وكذلك شمال الشلال الثاني في منطقة قصر أبريم، ووجود الأتراك في سواكن علي البحر الأحمر. ومن خلال الأدلة الأثرية والوثائق ميز الكسندر خمس مراحل حدث فيها تغيير لسياسة الحدود بين الاعوام1516-1823م[2]

المرحلة الأولي(1517–1560م): وهي المرحلة التي أصبحت فيها مصر احدي مقاطعات الإمبراطورية العثمانية. وفي هذه الفترة وصل نفوذ الفونج إلي دنقلا، عبر وكلائهم وصل حتى الشلالين الأول والثاني، كما احتلت سواكن وقامت سنجوقية الحبشة علي الساحل الشرقي.

1 The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley-Alexander,A-2000-pp47-61

2 The Turks on the Middle Nile –Alexander,A-1996

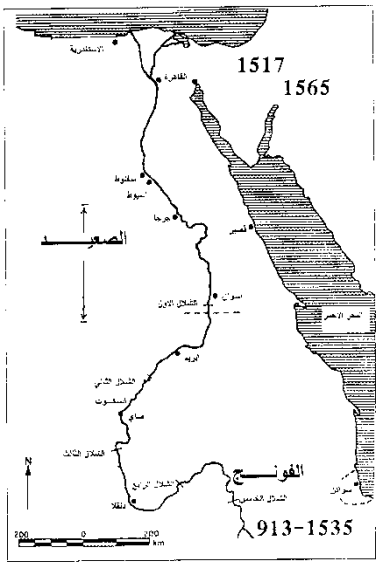

(عن الكسندر 1996)

خريطة رقم (3) الحدود العثمانية 1517–1565

المرحلة الثانية(1560–1580م): وهي المرحلة التي تكونت فيها سنجوقية قصر ابريم. ووضع الدفاع الرئيسي بها وأصبحت حامية لمصر، كما أصبحت قاعدة لسواكن وسنجوقية الحبشة.

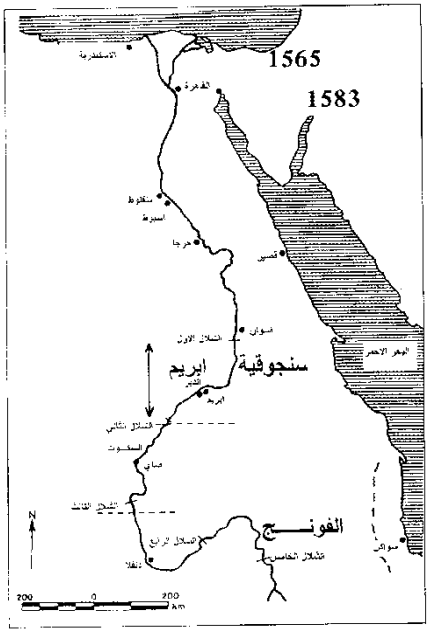

(عن الكسندر 1996)

خريطة رقم (4) الحدود العثمانية 1565–1583 – سنجوقية ابريم الجديدة

المرحلة الثالثة(1583–1586م): وهي المرحلة التي حدث فيها تقدم آخر في الحدود كخطة للهجوم علي الفونج. حيث تقدم العثمانيون عبر بطن الحجر حتى جزيرة صاي وجنوبيها، ووقعت معركة حنك الشهيرة بين الفونج والعثمانيين(10 كيلومتر جنوبي الشلال الثالث). وقد اختيرت جزيرة صاي لإقامة قلعة بها، وشيدوا سنجوقية جديدة لتغطي منطقة الشلالين الثاني والثالث(سنجوقية المحس). إضافة لسنجوقية ابريم والصعيد. وقد ألغيت سنجوقية المحس بعد عام واحد من إنشاءها(انظر خريطة رقم(2).

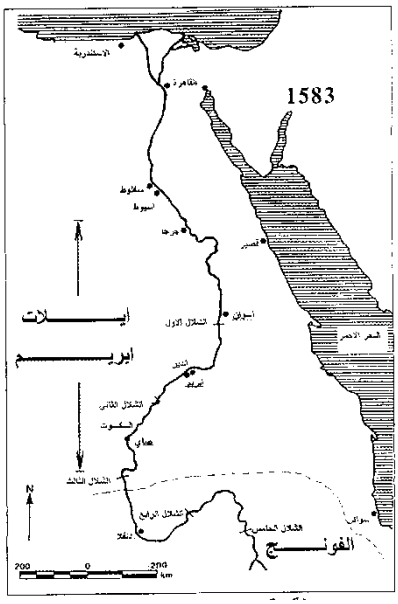

(عن الكسندر 1996)

خريطة رقم (5) ايـــلات ابريـــم : 1586

المرحلة الرابعة(1586–1786م): استمرت قلعة صاي قلعة رئيسية بها حامية منتظمة. واتضح من الوثائق أن دور القلعتين(ابريم وصاي) بدأ في التحول تدريجيا من دور عسكري إلي دور إداري بغرض جمع الضرائب.

المرحلة الخامسة(1786–1823م): شهدت هذه المرحلة إعادة التنظيم الأخير للحدود الجنوبية. وصارت المنطقة بين الشلالين الأول والثالث تحت أمراء الهوارة، وأوضحت الوثائق أن مرتبات الجنود في قلعتي ابريم وصاي ظلت تصل إليهم حتى عام1796م. ومن أهم الأحداث لهذه المرحلة هو السماح للجنود بالزواج وممارسة أعمال إضافية مثل الزراعة.

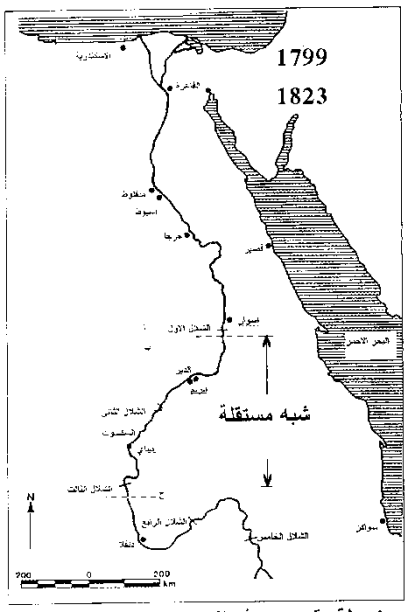

(عن الكسندر 1996)

خريطة رقم (6)

أ. الفرنسيين (1799–1802). و (ب–ج) الحدود العثمانية 1802– 1823

الاثار العثمانية في السودان:

1/ قلعة أبريم (شمال السودان):

الموقع: تقع المدينة المحصنة لقصر إبريم في النوبة المصرية على بعد 45 كلم جنوب أبو سمبل. وهى تقع على جرف عال من الضفة الشرقية للنيل والمحاط حاليا بمياه بحيرة ناصر وشمالا على بعد 13 ميل من الدر. هذا الارتفاع والذي يبلغ (70 متر) على الشاطئ الشرقي للنيل ويبعد حوالي 180 كلم جنوبي أسوان هو الذي جعل لقصر إبريم كذلك تاريخاً طويلاً. فهذا الموقع الإستراتيجي ظل جاذبًا للاستيطان منذ فترات مبكرة ، فأقدم المخلفات بهذا الموقع تؤرخ إلى فترة المملكة المصرية الحديثة. وقد ظل قصر إبريم مسكونا منذ ذلك الوقت وحتى 1811م[1] (أنظر صورة رقم 1).

1 Etudes Nnbiennes ch.Bonnet (edid)-Vol1-Nittie.K.Adams-1992-pp33

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

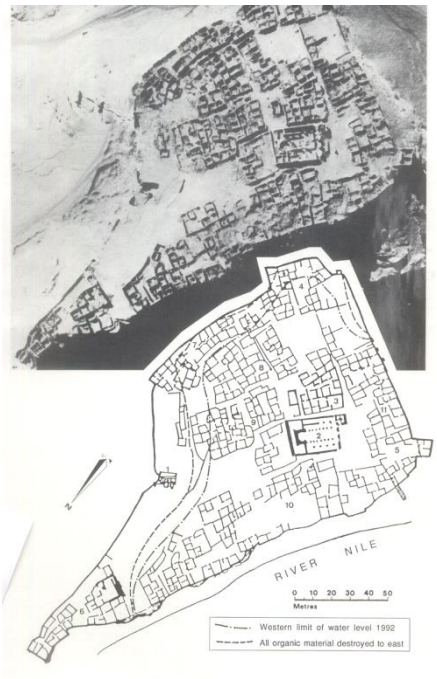

After: Alexander:

صورة رقم (1) صورة جوية لقصر ابريم

خلفية تاريخية:

لقلعة إبريم تاريخ قديم، يعود إلي المملكة المصرية الحديثة ، حيث ظلت القلعة طوال معظم تاريخها مركزًا رئيسياً ومقراً خلال الفترات الكلاسيكية، كما تولي المرويين توسيعها وتعليتها. وكانت قصرًا للأسقف خلال العهد المسيحي، وفى فترات أصبح هذا القصر مقرًا عسكرياً وأحيط بجدار سميك وحميت بحصون منيعة. وبعد ذلك أهملت القلعة لفترة طويلة حتى عهد الأيوبيين في مصر، عندما هاجمها شمس الدولة (1173 – 1173م)[1] ويشير وجود المعمار إلى وجود فترات سكنية متعددة كما تدل الوثائق التي تم العثور عليها في الموقع أن قصر ابريم ربما كان عاصمة لمملكة ما خلال فترتين من تاريخه. وبحلول عام 1500 م تحولت القلعة إلى الدور الدفاعي. وبعد احتلال الأتراك العثمانيون لمصر 1517م صار قصر ابريم مقراً ومعسكرًا ملئ بجنود من البوسنة (Bosnia)، كما تم تحويل الكاتدرائية إلى مسجد بإدخال محراب في احد جدرانها، ويعتبر هذا المحراب اليوم هو النموذج المعماري الوحيد الباقي من المعمار الإسلامي في قصر إبريم، وما تبقى من جدرانها اليوم يعود إلى الفترة العثمانية.

1 الاثار العثمانية في منطقة المحس1584-1821م-عبدالرحمن ابراهيم سعيد-2005-ص132

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

تتكون التحصينات الدفاعية التي أقامها العثمانيون من البرج الجنوبي، والذي توجد به أربعة فتحات للبنادق ومدخل. وكانت مادة بناء هذا البرج من الطين والحجارة، وفي هذا البرج أستعمل القوس العثماني. والجدير بالذكر أن كل هذه البنايات تعود للفترة الأولي. الطراز المتبع للمنازل أو البيوت العثمانية يبدو وكأنه يتكون من مستطيل خالي من النوافذ وسور وله مدخلين، المدخل الرئيسي يستعمل من قبل الزوار الذكور. والمدخل الآخر وهو خلفي يستعمل من قبل النساء. وداخل البناء توجد وحدات بنائية منفصلة. ونجد أن البيوت المتقنة (المهمة) كانت تحتوى على مدخل رئيسي يحتوى على غرفة للبواب تقود إلى مدخل ، يدخل منه إلى ساحة الدار (الحوش) ويحتوى الحوش على دهليز للأشغال الاعتيادية. إضافة إلى غرفة كبيرة مؤسسة بشكل جيّد للزوار وخلف ذلك قاعة كبيرة تسمى (الديوان) توجد بها تجاويف لاستعمالها كدولاب. أما الأرضية مبلطة بشكل جيّد وذات باب مزخرف وتقود إلى مجموعة من غرف للحريم وكل غرفة مجهزة على حده وتقود إلى إحدى الزوجات وتسمى المجلس وهنالك الحمام[1] وفى الطابق الثاني توجد ممرات السطح ويمكن إضافة غرف الخزن والإسطبلات ضمن مكونات الدار. وكانت الغرف في الطابق العلوي تزينها المشربيات المطلة إلى الخارج. والجدير بالذكر أن كل الأبنية بعد 1583م قد استعملت لسكن العوائل ولكنها قد بنيت بنفس الأساليب القديمة. أما أحجام الغرف فكانت صغيرة عموما تصل إلى (4-12 م^2) ويبلغ سمك الجدار مابين 50 -60 سم فيما يصل ارتفاع بعض الجدران إلى 3،5 متر. وكانت الجدران الداخلية تغطى بالبلاستر ثم اللون الأبيض وبعضها كان يتم زخرفته بنماذج هندسية حمراء اللون على الجدران إضافة إلى ذلك توجد كوات يوضع عليها السراج أو تحفظ فيها الأشياء الصغيرة. كما توجد كذلك نوافذ وأبواب وكانت الأبواب الخشبية تثبت بحجر. وكانت الأبواب تثبت برتاج وأقفال خشبية والتي تفتح بمفاتيح خشبية[2] أما الأرضيات فتغطى بطين ونفايات السكن وهنالك بعض الغرف صممت أرضياتها برقاقات حجرية بيضاء تم ضغطها أو ألصقت في المكان. ومن الملامح الأخرى للمنازل وجود المساطب، مواقد النار، حفر التخزين، جرار التخزين الطينية. لا توجد مراحيض داخل البيوت وقد عثر في إحدى البيوت على بقايا براز بشرى. حيث كانت معظم عمليات الإخراج تتم خارج البيوت أو خارج الأسوار وربما استعملت القدور الفخارية الكبيرة التي تثبت في الأرضيات للتبول[3]

الجدير بالذكر انه وجدت بضعة مواقد في الساحات مما يدل على أن الطبخ كان يعمل في الحوش. تم العثور على أدوات خاصة بالنسيج (المعاول مثلا) إضافة إلى عدد كبير من قطع النسيج وعظام الحيوانات زائداً السلال والجلود والخزف والمعادن والزجاج والخشب والمغازل وأدوات أكل وشرب مزججة وغير مزججة ، إلى جانب قدور طبخ وصواني ومصابيح وشمعدانات واوان زجاجية وحقائب جلود إضافة إلى لجام لحصان وأحزمة للسرج وسوط. أيضاً عثر على حبال ولباد يضع تحت السرج وأوتاد خشبية للربط وسلال إلى جانب

1 The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley-Alexander ,A-2000 -p18

2 Etudes Nnbiennes ch.Bonnet (edid)-Vol1-Nittie.K.Adams-1992-pp33

3 The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley-Alexander,A-2000-p31

حاويات صغيرة وكبيرة ومعادن[1] كما وجدت العديد من السيوف والبنادق والمسدسات زائدا الرصاص والقوالب وصوان بنادق إلى جانب رماح (حراب) وأدوات " سكاكين " ووجدت كذلك كسوات رجالية من النسيج وقمصان وخيوط وأحذية جلدية وحجاب زائداً غليونات تدخين خزفية ومرابط وأقفال ومفاتيح من المعدن وهنالك بقايا من ستائر ومراتب وسجاد. ووجد غطاء نسائي للرأس (خمار) وثياب زائداً أحذية جلدية ومجوهرات ومعادن وخرز زجاجية وحجرية وأساور ولعب أطفال. وتم العثور على بقايا ساقية وقوارير وحبال وعصى[2]

2 قلعة صاي:

الموقـع: تقع صاى إلى الجنوب من الشلال الثاني (في منطقة بطن البحر) على الضفة الغربية للنيل على بعد حوالي 600 كلم شمال الخرطوم. وقد ذكر " بروكها ردت " بأن لفظ (صاى) وإن كان علما على الجزيرة إلا أنه عادة يطلق على كل الإقليم الواقع مابين السكوت والمحس. والموقع عبارة عن بروز صخري الذي كوّن هضبة على جانب النهر ، حيث كانت هناك بقايا قلعة قديمة ومدينة فرعونية[3](أنظر صورة رقم 2).

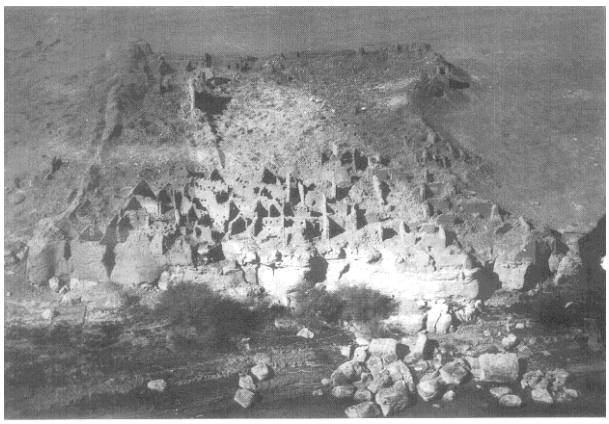

After: Alexander

صورة رقم (2) صورة جوية لقلعة صاي

1 The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley-Alexander,A-2000-p32

2 The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley-Alexander,A-2000-p33

3 رحلات في بلاد النوبة 1793-1817م- جون لويس بروكهاردت-1959م-ص50

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

خلفية تاريخية:

من الأحداث المهمة جدا في الـ300 سنة الأخيرة من تاريخ السودان هو بناء الدولة العثمانية لقلعة في جزيرة صاى، وما زال جزءاً كبيراً من هذه القلعة موجود. وتعتبر الأحداث التي أدت إلى تأسيس قلعة صاى هي الأخيرة في سلسلة المحاولات للإمبراطورية العثمانية لإخضاع كل شمال شرق إفريقيا والاستفادة من مصادرها مثل الذهب والرقيق والصمغ والعاج للإمبراطورية ولدار الإسلام. وبعد طرد البرتغاليين من البحر الأحمر بدأت في عام 1565م محاولة من مقاطعة الحبشة التي أنشأت حديثاً. وقد تم إرسال الدعم لغزو الحبشة من مصر وفي عام 1575م انتهى ذلك المشروع وقام الديوان الملكي بالبدء في مشروع أخر والذي حول محور التقدم من ساحل البحر الأحمر إلى وادي النيل. كما كانت هنالك تجهيزات إدارية هامة جدا في عام 1584م حيث تم أولا فصل مصر العليا بما فيها ميناء قصير وتم تسميتها بإيالات إبريم ، وتضم سنجوقيات الصعيد وإبريم والمحس والتي أضيفت بعد هزيمتها. وقد تم الاتفاق في عام 1585م مع الفونج حيث تم وضع الحدود للإمبراطورية والفونج في حنك والذي استمر حتى عام 1822م. وفي نفس الشهر (ديسمبر) 1585م حدث تغيير إداري رئيسي الذي أدى الأمر به إلى استانبول وهو إلغاء إيلات إبريم وسنجوقية المحس وتكوين سنجك إبريم الكبير ويعود سنجك الصعيد إلى مصر. أما دار المحس فقد أصبحت إلى حدٍ ما مستقلة في ذلك الوقت وتطلب الدفاع عن الحد الجديد بناء قلعة جديدة ، وذلك لان قصر إبريم يبعد حوالي 180 كلم وبالتالي قد لا يكون مؤثراً على المنطقة وقد تم اختيار الضفة الشرقية في صاى وفي إقليم السكوت ، ومن هذا الموقع يمكن التحكم ليس فقط على الحدود ولكن أيضاً على الصحراء شرقاً وغرباً والاتصالات النهرية شمال جنوب ، كما يمكن الحصول على العديد من احتياجات الحامية من هذه المنطقة[1]

وهنالك عوامل ساعدت على ترجمة وتفسير الدلائل الموجودة في قلعة صاى بصورة لم تكن سهلة من قبل وهي الدراسات التي تمت في الأرشيف العثماني في القاهرة واستانبول وحفريات قصر إبريم و خاصة دراسة الوثائق التي تم العثور عليها هنالك. كل هذه الدراسات ألقت الضوء على كيف أصبح هؤلاء الجنود الغرباء ملاك أراضي وتحدثوا بالنوبية وأصبحوا الصفوة، والذين مازال أحفادهم يعيشون في الجزيرة إلى اليوم. هذا التعبير يمكن فهمه بصورة أفضل عند إجراء المزيد من الحفريات. لقد تم التعامل بنفس الخارطة العامة لقصر ابريم ، وذلك حسب احتياجات الحاميتين والتي تتضمن مساطب للمدافع ومداخل مزدوجة محمية جداً ومدخل لجلب الماء محصن وحائط عالي. وقد تم تخطيط هذه الأشياء بمهارة شديدة في قلعة (صاى) لكن بسبب أنها من الطوب الأخضر وبسبب إحساسهم بأن العدو ضعيف من ناحية السلاح الناري فإن هذه القلعة أقل من ناحية التحصين من قصر ابريم ، وعلى الأخص الدفاعات الغربية وهى أضعف جزء والتي لم تكن ثابتة وقد انهارت خلال 20 عاماً. وعندما تم بناء هذه القلعة وعلى الرغم من أنها بنيت باهتمام اقل مما تم في قصر إبريم إلا أنها كانت قلعة قوية حصينة تقوم بحراسة المداخل إلى مصر ، وما لم تؤخذ فجأة أو بخيانة فإنها صعبة الاختراق لجيش دون أسلحة أو مقدرة لحصارها. أما الجامع فيقع إلى الشمال الشرقي من المدخل الرئيسي ، بالقرب من مركز القلعة وهو عبارة عن غرفة (12 x12) للصلاة ذات محراب،

1 Qalat Sai:The Most Southerly of the ottoman Fortress in Africa,-Alexander,A-1997-pp1-3

بجانب ثلاثة غرف صغيرة ، واحدة من هذه الغرف الثلاث قد تكون قاعدة لمئذنة صغيرة. عثر في الركن الجنوبي الغربي وعلى الحائط الجنوبي على مجموعة مباني من ثلاث وحدات:

الأولى : عبارة عن منزل اسلامى كبير ذو مدخل يؤدى إلى غرفتي الديوان ، كما عثر على غرفتين اخرتين تكونان وحدة يعلوها طابق آخر يلي ذلك فناء كبير به ست غرف وكل هذه الغرف مطلية ، كما توجد حنيات في الحوائط. ومن شكل بقية الوحدات اتضح أنها كانت ثكنات للجيش وقد طليت جدرانها أيضاً.

أما المساكن فقد سكنت لفترة طويلة وحدثت فيها بعض التغيرات، وبصورة عامة فهي مماثلة للمنازل في مصر وسوريا والتي تحاط بسور فيه مدخل رئيسي للرجال ومدخل خلفي للنساء والخدم. كما يوجد فيه الديوان بالقرب من مدخل الرجال الذي يفصله حوش من بقية أجزاء المنزل حيث الغرفة الخاصة والتي قد تكون لعائلة واحدة أو أكثر لكنها من الطوب الأخضر وفى العديد منها نوافذ عالية وفجوات في الحوائط (لمبات للإضاءة) والحوائط مطلية. وفى العديد من الحالات فان أجزاء من الديوان يتكون من طابقين كما هو الحال في كلبنارتى وسواكن وقصر ابريم. كما وجد مبنى يعتقد انه زاوية به سياج جزء منه مستطيل والأخر بيضاوي يفتح على الشارع ومحوره شمال غرب مثل بعض النماذج التي وجدت في سواكن. وتوضح وثائق الدفعيات للعام 1794م أن حامية صاى تقلصت إلى (98) رجل معظمهم جنود ، وربما كان أول تأثير للحرب هو وقف المرتبات الأمر الذي دفع الجنود بعد ذلك بممارسة الزراعة. وباعتبارهم صفوة محلية فربما اختلفوا قليلا من جيرانهم النوبيين عدا في تقاليدهم الأسرية. لم يتوقف المماليك عام 1812م عندها بل واصلوا سيرهم حتى دنقلا التي استقروا فيها عام 1820م. وعند مرور بركها ردت عام 1813م لم يذكر وجود الحامية في صاي ولكنه ذكر مقابلته لملك المحس (ملك كوكا) والذي ادعى بدفعهم لضرائب سنوية لكاشف الدر[1]

أما فيما يخص العمارة فلا جديد هنالك سواء ملاحظة فتح أبواب جديدة وإغلاق القديمة، كما أن معظم المباني هجرت بسبب تقلص الحامية. وبدأت التحصينات تتحول لحطام وتحولت العائلات إلى السكن على قرى النهر ، وما زالت هنالك مواقع بعضها يعود للقرن السادس عشر وأخرى من 1813- 1820م. أما غزو محمد علي للسودان فقد أدي إلي إنهاء حدود الدولة العثمانية في حنك وألغيت سنجوقية إبريم وأصبحت بلاد دنقلا- المحس – السكوت تتبع لحاكم في دنقلا.

1 رحلات في بلاد النوبة 1793-1817م- جون لويس بروكهاردت-1959م-ص67

3/ اقليم المحس (شمال السودان) (1584–1820م):

تقع منطقة المحس على طول نهر النيل، وتمتد من الحدود الجنوبية لمنطقة السكوت وحتى الحدود الشمالية لمنطقة دنقلا، أي من مدينة كرمة وحتى الامتداد الجنوبي لقرية واوا على الحافة الشمالية. وبدقة بين خطي عرض 42 ً 19ْ و 21ْ شمال خط الاستواء. ونجد أن حدود منطقة السكن على الجانبين (الضفتين الشرقية والغربية) على مساحات محدودة على طول نهر النيل حوالي 125 كلم على الجانبين من النيل.

1/ قلعة تنري (**Tinare**):

تقع علي مرتفع صخري يرتفع حوالي 22متر من سطح البحر، في منطقة تكثر بها تعرجات النيل والصخور. المبني حصن بحوائط، يصل سمك الحائط الجنوبي حوالي 4 أمتار بينما الغربي 3 أمتار أما ارتفاع الجدران الحجرية حوالي 10 أمتار. تنوعت مواد البناء من الحجارة والطوب اللبن والجالوص، كما تنوعت طريقة الاستخدام نفسها، وتتخلل هذه الحوائط فتحات(مزاغل) لاستخدام الأسلحة(انظر صورة رقم(3).

صورة رقم (3) منظر عام لقلعة تنري

تصوير الباحث

يتكون الموقع من جزأين، القلعة الرئيسية، والتي أخذت شكل البروز الصخري فأصبحت أشبه بالمثلث، وبالتالي لها ثلاثة أبراج رئيسية توجد بها فتحات للمراقبة ولاستخدام السلاح الناري. كما توجد العديد من الغرف بالداخل وهي بذلك أشبه بقلعة ابريم. أما الجزء الثاني وهو مقر الجنود والإسطبلات.

2/ دفي شقل(**Shigil**) (جزيرة سمت):

عبارة عن حصن بني على صخور طبيعية، له ثلاثة أبراج ومدخل في الحائط الجنوبي. وبه عدد من الغرف الداخلية وفي وسط الموقع مجموعة من الصخور الطبيعية الضخمة التي تميزه من الداخل(انظر صورة رقم 4). ونجد أن مادة البناء المستخدمة في هذا الحصن هي الحجارة والجالوص ومواد السقف البلدي.

صورة رقم (4) دفـــــي شقـــــل

تصوير الباحث

3/ موقع نوري(**Nauri**):

تقع مستوطنة نوري المحصنة علي مساحة تقدر بأكثر من 1500 قدم. ونسبة لضخامة وتعقيد الموقع، يمكننا تقسيمه إلي جزأين: الجزء الأول: ويعرف بالتحصينات. الجزء الثاني: وهو عبارة عن مباني تتجه ناحية النيل، في شكل حوش و غرف عديدة بعضها بني في شكل طابقين، ومبني من الجالوص فقط. علي كل تتميز هذه المرحلة بالتعقيد الشديد وتتخذ شكل العناقيد ويتكون المبني من أربعة وحدات منزلية–انظر شكل رقم(1)– تم اختيار الأولي الرئيسية – حيث الطابقين. تتكون هذه الوحدة من جزأين رئيسيين: الجزء الأول: ويشمل غرفة المدخل (رقم "1") – "**Reception**" – ذات المصاطب الجانبية للجلوس، التي تؤدي إلي الحوش "2". يفتح في هذا الحوش غرفة رقم "4" وهي بدورها تفتح في الغرفتين "3، 4" واللتين يقعان إلي الشرق والغرب منها. وغرباً من منطقة الحوش "2" نجد عدد من الغرف التي تفتح في بعضها البعض، (غرف 6، 7، 8). وهذه الغرف بصورة عامة مستطيلة الشكل تمتد بعضها (شمال – جنوب) وأخريات (شرق – غرب). ووجدت في داخل هذه الغرف "كوات" للإضاءة والتهوية في أعلي الحوائط بأشكال وأحجام مختلفة من مستطيلة الشكل إلي مثلثات. كما وجدت بقايا فحم وقطع صغيرة من الفخار وقسيبات–وعاء من الطين علي شكل اسطواني يحفظ فيه الغلال– تشير إلي مكان الطبخ. وهنالك غرف وجدت بهم حجارة وأزيار وقسيبات.

الجزء الثاني: ويشمل هذا الجزء منطقة البرج الذي يتكون من طابقين(انظر صورة رقم(5).

صورة رقم (6) بـــرج نـــــوري

تصوير الباحث

والحوش الثاني(12) هنالك مسطبة تمتد حتى منطقة الدرج والذي يقود إلي غرف الطابق الأعلى (غرف 9، 10، 11). والجزء الأسفل عبارة عن غرفتين بهما ردم، ومن خلال بقايا الحرق يتضح أن إحدى الغرفتين كانتا مكاناً للطبخ. وعلي حائطها الشمالي كوات للإضاءة والتهوية علي شكل مثلثين. أما الطابق الأعلى فنجد ثلاثة غرف تفتح في بعضها البعض، وهي مستطيلة الشكل، ووجدت في داخل الغرف كوات للإضاءة والتهوية في أعلي الحوائط بأشكال مثلثة ومجوفة. كما استخدمت النوافذ العادية في غرف هذا الطابق، ووجدت مساطب من الحجارة. وتم العثور في داخل هذه الغرف علي قسيبات وبقايا أخشاب وألواح حجرية، والشئ الملاحظ وجود مستطيل من الحجارة علي شكل بلكات به زخرفة منحوته علي شكل نجمة بها نقاط غائرة علي الحواف في أحدي الغرف. وهنالك تعديل (تغيير) في هذه الوحدة خلال فترة الاستيطان، حيث نجد بعض النوافذ والمداخل أغلقت وأخري تم فتحها، وهذا ملاحظ في غرف الطابق الأعلى وكذلك المداخل الذي يقود لغرف الطابق الأعلى من السلم مباشرة قد أغلق. وتنتشر علي سطح الموقع كميات كبيرة من المواد النباتية مثل سعف النخيل وسيقان القمح والدوم. كما نجد بالموقع بعض البقايا الحيوانية مثل الصوف وروث الماعز والضأن وأنواع متعددة من الفخار (مسيحي – إسلامي) بالإضافة إلي أدوات الطحن.

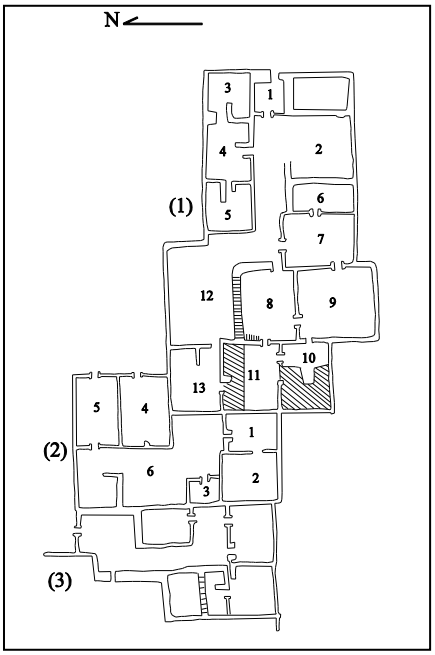

شكل رقم (1) الوحدات المنزلية لمستوطنة نوري

تصميم الباحث

4/ سواكن (شرق السودان):

الموقع: تقع مدينة سواكن على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر على خط 7 19هـ شمالا و20 37هـ شرقا. وهى تبعد على نحو 730 ميلا شمالاً إلى السويس و300 ميل شمال شرق إلى جدة و385 ميل شمال مصوع وعلى بعد 349 ميل شمال عيزاب(أنظر صورة رقم 7).

الآثـــار العثمانيـــة فـــي الســـودان

د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي

صورة رقم (7)

منظـر عام لجزيرة سواكــن

خلفية تاريخية:

منذ فجر التاريخ كان البحر الأحمر طريقاً عالميًا للتجارة ، وقد ازدهرت الموانئ فيه خصوصاً في شاطئه الغربي مثل باضع وعيزاب وسواكن ومصوع. أهم هذه الموانئ نجده ميناء سواكن ، وهو ميناء مهم ومعروف منذ قديم الزمان، حيث اتخذه قدماء المصريين كقاعدة لأسطولهم التجاري الذي كان يرتاد ثغور البحر الأحمر والمحيط الهندي لتسهيل سبل التجارة بين بلاده والشرق الأقصى خاصة في عهد رمسيس. وعندما استولى البطالسة على مصر أرسل بطليموس الثاني البعثات لاستكشاف سواحل البحر الأحمر، وعندما وصل سواكن أعجب بموقعها وتم احتلالها. أما في عهد الرومان فقد تضاءلت أهمية سواكن بعد استيلاءهم على مصر ، وبعد زوال دولة الرومان على يد قائد المسلمين في سنة 20 هـ ، بدأ الخراب يدب في سواكن ، وعلى العكس تماما بدأ العمران يزدهر في عيزاب. وكانت الطريق الوحيد لحجاج مصر والمغرب، وكان ذلك في فترة حكم المماليك لمصر والشام. وفى عام 1516م (933هـ) اصطدم الأسطول البرتغالي بالأسطول المصري ودارت معركة انتصر فيها الأسطول الأول واستولى على موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي. وبعد استيلاء البرتغاليون على ميناء سواكن، وبعد انتهاء السلطان سليم الثاني العثماني من فتح الشام، توجه إلى فتح مصر بجيوشه الجرارة ففتحها 1517م. ثم بعد ذلك خرج بأسطوله لتطهير البحر الأحمر من الأسطول البرتغالي الذي كان قاعدته مصوع. فانتصر عليه واحتل سواكن ومصوع وجدة وغيرها. وعين في كل مدينة موظفا تركيا ينوب عنه ومعه حامية من الجنود وجعل الجميع تحت سلطة والى الحجاز[1] هذا الموظف يمثل الحكومة ويسكن الجزيرة (سواكن) ويحمل لقب أغا ، لكن هنالك من عرب الحدارية ما يحدون من سلطانه اشد الحد ، لما لهم من شوكة ونفوذ. وهذا الأغا تابع لباشا جدة ، حيث كان عليه جباية المكوس التي تحصل على تجارة البحر في سواكن ويدفع لخزانة الدولة في جدة 32ريال مقابل هذا الامتياز. كما ويجبي الضرائب على الواردات كلها لاسيما سلع الهند والتي ترسل إلى أسواق السودان ، وكذلك على السلع الواردة منه أهمها العبيد والتبغ والخيل. ويجدد تعيين الأغا كل عام أو تعيين غيره[2] أما السلطة الإدارية فقد كانت في يد الوطنيين ، وكانت أسواق سواكن التجارية تحت سلطة الارتيقة الذين كانوا يحصلون على الزكاة من حصة الجمرك وأموال الأهالي.

ومن خلال العمل الذي تم في سواكن يتضح ان بها عدة طرز معمارية لمبانيها مثل مباني الفترة القديمة مثل بيت الباشا وبيت خورشيد والمسجدين الحنفي والشافعي القرنيين 15-16م، وهي الفترة التي سبقت أستيلاء الاتراك علي الميناء. ومباني الفترة الوسيطة والتي

[1] تاريخ سواكن والبحر الاحمر- محمد صالح ضرار-بدون تاريخ- ص52

[2] رحلات في بلاد النوبة 1793-1817م- جون لويس بروكهاردت-1959م-ص ص344-345

تعود لها معظم مباني سواكن ومثال لهذه الفترة بيت السيدة مريم. اما الطراز الاخير وهو طراز الفترة المتأخره (القرن 19) فيعود لفترة حكم المصريين، ومثال لذلك منزل محمد بن أحمد وعمر أفندي عبيد والوكاله. أما بالنسبة للمباني العامة فيوجد مسجدين فى الجزيرة واخر فى القيف فى نهاية الممر. وهى من الواضح مساجد قديمة، كما ان هنالك بعض الزوايا الي جانب وكالة الشناوي وهو من كبار التجار فى 1881م. تتكون الوكالة من مخازن تحيط بالصحن وفوقها الغرف التى تؤجر للتجار. ويعتبر هذا المبنى هو المحطة النهائية لطريق القوافل من داخل السودان. فوق المدخل الرئيسى باب ضخم مؤطر بطريقة المشربيات ولكن دون بروز ، ويبدو أن الوكالة كانت اخر مبنى فى طراز البحر الاحمر.

صورة رقم (8) المسجـــد المجيـــدي

تصوير الباحث

جُمعت المبانى فى الجزيرة بطريقة القرون الوسطى ، الاهتمام الاول هو تجنب الشمس ولذا فأن المبانى العالية ذات المشربيات البارزة (روشان) تلقى بظلها على الشوارع الملتوية بنفس طريقة مدن اوربا فى العصور الوسيطة والتى تحمى المارة من تأثير الجو، هذه الطرق الملتوية توزع الرياح بحيث تستفيد كل المبانى بصورة أو بأخرى. لكل منزل سطوح فيه بعض الغرف المسقوفة جُزئياً"مظللة" . المنزل المتوسط مساحته 2400 ياردة بما فيه مصطبة من الشوارع المحيطة، ويحوى مساحة تسعة عوائل واربعة عشر محل، و كثافة مدنية حوالى 150 شخص للفدان[1]

أما تخطيط المنازل فيقوم على المبادىء الأساسية للمنزل الاسلامى من حيث التقسيم الى قسمين النساء والرجال وأبسط تخطيط يتكون من زوج من الغرف. وهناك دلالات على تطور هذه المنازل على مراحل من المنزل ذو الطابق الواحد الذى تحيط غرفه بصحن من ثلاثة جوانب بينما الجانب الرابع هو الحائط المطل على الطريق وفى النهاية يحاط الصحن كلية بالغرف.

1 الاثار العثمانية في السودان- انتصار صغيرون الزين- 2003م- ص 96

المرحلة الثانية بناء طوابق اعلى وتوجد خريطة معيارية للمنازل ذات الثلاثة طوابق والتى تتنوع على حسب تخطيط الموقع.يتكون المنزل من طابق ارضى يشمل (المقعد) غرفة استقبال للرجال كما توجد مخازن للأستخدام المنزلى والبضائع . يوجد دائماً موقد للقهوة كما يحتوى فى بعض الاحيان على كنتاين (محال تجارية) والتى يبنى مدخلها في شكل المشربية يحتوى الطابق الاعلى على سكن العائلة والذى يقسم فى العادة الى وحدات تسمى الواحدة منها (مجلس) وهو عبارة عن غرفة كبيرة تحتوى على مشربية او أثنين وبعض النوافذ هذه تكون فى الحوائط المتجاورة لتعطى توزيعاً جيداً للضوء ولا يكون أبداً فى أتجاهات متعاكسة داخل الغرفة.بقية الحوائط تحتوى على فجوات فى شكل اقواس بها أرفف بالاضافة الى مخزن صغير والحمام والتواليت مجهزة بحيث تُنظف مياه الحمام التواليت ، اما الطابق الاعلى يتكون من صالات مسقوفة و مصاطب مفتوحة وغرف للطبخ والخدم. تحتوى المنازل الكبيرة على نفس العناصر الموجودة فى البيت العادى ولكن ترتب بطريقة أكثر تعقيداً ، تصل مساحة غرفة المعيشة 15 أو 12×16 قدم[1]

العمارة والفنون:

1– العمارة:

فيما يتعلق بالعمارة نجد أن هنالك عوامل كثيرة تتحكم فيها وفي أسلوب بنائها بغض النظر عن أي تأثيرات خارجية يمكن أن تقع عليها، ومن هذه العوامل نجد النواحي الجغرافية والطبوغرافية إضافة إلى النواحي المناخية للبلد الذي تقام فيه. وبصورة عامة يمكننا أن نشير إلى أن طراز العمارة العثمانية لا يمكن أن يصلح كطراز للعمارة في منطقة النوبة ، إذ أن لابد آن يوائم بين العوامل الطبوغرافية والمناخية وبين المنشاة من حيث الوظيفة والتخطيط المعماري. لكن هنالك ملاحظة هامة وهي ان طراز العمارة في منطقة سواكن مشابه بصورة واضحة لطراز العمارة العثمانية.

العمارة العسكرية:

من أهم أنواع العمارة التي خلفها لنا الغزو العثماني، وقد اهتموا بها أيما اهتمام كيف لا وهم جاءوا إلى البلاد غزاة ومحاربين. ونسبة لتمرسهم على الحرب فقد برعوا في بناء التحصينات العسكرية من حيث المواءمة في اختيار مادة بناءها وموقعها ووظيفتها وإقامة الخنادق كذلك (خنادق طبيعية مثل النيل والجبال والصخور الطبيعية الضخمة والبحر علي ساحل البحر الاحمر) وتشديد المراقبة بإقامة الأبراج والسلاح الناري كذلك، كما كانوا يقيمون الممشي والممرات على الحوائط للمراقبة ولاستخدام السلاح الناري إضافة إلى الأسوار القوية والمتينة والمباني الداخلية الخاصة لسكنى هذه التحصينات. كذلك استفادوا من البروز الصخري في بناء القلاع والحصون الخاصة بهم.كل هذه

1 الاثار العثمانية في السودان– انتصار صغيرون الزين– 2003م– ص 96

الأساليب الدفاعية والعسكرية تم تنفيذها في منطقة الدراسة حيث استخدموا المواد المحلية من حجر وجالوص وحجارة مرجانية كما اختاروا المواقع الإستراتيجية وكانوا يقيمون بهذه التحصينات ويحتمون بداخلها حتى أطلق عليهم (القلعتجية) أو أهل القلاع.

العمارة المدنية:

المنازل:

كان لمنطقة النوبة نمط معين من تخطيط المسكن وهندسة البناء، وهو من مواد أخرجتها بيئتهم المحلية وهي مواد بسيطة مثل الطين والطوب اللبن والحجارة وجذوع النخيل وجريده وأشجار الدوم وسعفه والحطب إضافة إلى الجير الملون والرمال وغيرها مما يحتاجه البناء. وكان تقام منازلهم بالقرب من مزارعهم ذلك للإشراف عليها ومراقبتها هي وحيواناتهم كذلك. ونسبة لطقس النوبة الصحراوي ذو الطبيعة القاسية كانت المباني تبنى لتلائم ذلك الطقس وتكون قادرة على تحمل هذه العوامل الطبيعية.

نجد الحوش وعلى الرغم من أهميته إلا أنه لم يكن ضرورياً للحد البعيد، فالأرض على اتساعها تمثل فناء لأي منزل ريفي، وتفتح على هذا الحوش غرف صغيرة دون تخصيص لأي فرد منها، كما نجد قدر من الألوان والرسومات على الحوائط والجدران التي تشير إلى عاداتهم وتقاليدهم النوبية، كل ذلك طبعا بمقدرات متواضعة. حيث أن التواضع يمثل سمة من سمات طابع بناء المنزل النوبي (من طابق واحد وربما غرفة واحدة تتبعها رواكيب ومظلات من الحطب وجريد النخل (العرش البلدي) وليس هنالك مطمع أكثر من هذا حيث تسكن الأسرة جميعها في هذا المنزل دون تخصيص لأي فرد منها).

لكن بعد توافد الأجناس الأخرى خاصة العثمانيين (مجر، صرب، بوسنة) ظهرت علامات الاستفادة منهم حيث ومع قدوم هؤلاء الحكام الجدد من الكشاف نجحوا في أن يغيروا من هندسة البيت النوبي المتواضع ذي المساحة الصغيرة والبوابة المزخرفة بنقوش مقتبسة من الفن الفرعوني والبيزنطي والنوبي إلى قصور عالية كبيرة المساحة لها بداية تسع الدواب بحمولتها والفارس على صهوة جواده إلى داخل فناء القصر الذي يطل عليه برج عالٍ كمقر لمجلس الكاشف مع رجاله للمراقبة والدفاع عن أنفسهم. فحملت هذه الهندسة الجديدة طرازاً يقوم على الأبهة والتنافس والارتفاع بالمقام فنجد المنازل مثلاً واسعة وذات طوابق[1]

وفي منطقة نوري وجد مجمع سكني ضخم يتكون مع عدد من الوحدات —حوالي أربعة وحدات– السكنية، ومن خلال الوحدة التي تم دراستها يتضح بالفعل التغيرات التي حدثت في هندسة البناء بالبيت النوبي حيث وجود المدخل والذي يؤدي مباشرة إلى غرفة بها مساطب للجلوس ربما تكون غرفة استقبال، ومنها إلى منطقة (الحوش) — الذي تفتح فيه بعض الغرف ووجود درج يقود إلى الطابق الأعلى،

1 الخندق: التاريخ، الغدوة والانساب– محمد احمد عبدالحميد–2004م– ص35

وهنالك الغرف المخصصة للرجال(السلملك)، والاخري المخصصة للنساء(الحرملك). وداخل الغرف توجد الرفوف الحائطية والتجاويف ثلاثية الفصوص وغيرها، كما هو الحال في منازل سواكن، حيث تخصيص اماكن للرجال واخري للنساء والغرف المنفصلة بالاضافة الي التجاويف الحائطية والنقوش والرسومات الزخرفية علي الجص والزخارف النباتية والهندسية.

العمارة الدينية:

وكما أشرنا سابقاً بأن منطقة النوبة لم تحظ ببناء المساجد الضخمة والفخمة التي كانت يتنافس عليها السلاطين كما فعلوا في البلدان الأخرى التي فتحوها. وحتى المساجد والخلاوي والزوايا العادية التي تم بناؤها لم تحظ بالمحافظة عليها و الاهتمام بها من قبل السكان، بل اختفت بمرور الزمن وحلت محلها المباني والمساجد الجديدة، فنفس التطور الذي لازم مباني السكن في المنطقة انتقل ببساطة إلى مساجدهم وخلاويهم وزواياهم فحسنوا من وضعها ونقلوها من مواد مؤقتة إلى مواد ثابتة بغرض التجميل والفن والتشكيل، بل ارتفعت المآذن إشارة إلى وجود المساجد للعابرين ، وبذلك اختفت الكثير من المساجد والخلاوي والزوايا القديمة في المنطقة كغيرها من المباني الأخرى والتي اندثرت بمرور الزمن. حيث نجد مسجد "صاي" والذي كان تقام فيه خطبة الجمعة وتمجد فيها الحاكم العثماني "السلطان". وفي سواكن تم بناء عدد من المساجد من اهمها المسجد المجيدي الذي بناه السلطان العثماني لاهل القيف، بالاضافة لعدد من الزوايا والخلاوي في المنطقة.

النتائج:

خلص البحث الى عدة نتائج من أهمها:

1- الوجود الفعلي للعثمانيين في السودان، حيث كان السودان جزءا من الخلافة العثمانية.

2- من خلال هذه الدراسة اتضح أن السودان بلد متنوع المصادر وله علاقات مزدهرة مع جيرانه.

3- كما برهنت الدراسة علي وجود عدة ممالك في السودان مثل الفونج، الفور، الزغاوة، كوكا، ارقو والعثمانيين.

4- أن الفترة من 1584-1821م كانت عهدا للتحولات السياسية والحضارية والثقافية حيث شكلت الواقع الثقافي والديني والسياسي لسودان اليوم.

5- برع العثمانيون في بناء التحصينات العسكرية من حيث المؤائمة في مادة بنائها وموقعها ووظيفتها واقامة الخنادق.

6- غيرو في هندسة بناء البيت النوبي المتواضع ذو المساحة الصغيرة الى قصور عالية كبيرة المساحة.

7– كما قاموا ببناء عدد من المساجد في السودان مثل المسجد المجيدي في سواكن.

التوصيات:

ومن خلال تلك الدراسة التي تمت في تلك المنطقة والنتائج التي ظهرت هنالك عدة توصيات منها:

1- إجراء المزيد من الدراسات حول الوجود العثماني في السودان.

2- الحفاظ على المواقع الأثرية بصورة عامة والتي تعود الى فترة العهد العثماني على وجه الخصوص لندرتها.

3- إجراء عمليات تنقيب واسعة علمية ودقيقة لهذه المواقع.

8– الخلاصة:

علي الرغم من أن التعامل مع الآثار العثمانية في السودان لم يكن بصورة جدية كجزء من الإمبراطورية العثمانية إلا انه ومن خلال تلك الدراسة والتي تمت في منطقة المحس –وقبلها في منطقتي (أبريم وصاي) في شمال السودان والبحر الأحمر(سواكن) والتي أماطت اللثام عن مميزات الآثار العثمانية في المنطقة خاصة بعد التحليل لتلك الآثار والوصول لتلك المميزات والتي دلت وبما لا يدع مجالاً للشك عن وجود فعلي ومكثف للعثمانيين في تلك المناطق من السودان وخلال تلك الفترة.

ويُعد هذا المقال من المحاولات المتكاملة لتسليط الضؤ علي هذه المنطقة الإستراتيجية الهامة (السودان) من منظور اثاري جديد في ظل الاكتشافات الجديدة خلال تلك الفترة التاريخية الموغلة في الغموض، لندرة المراجع وشح المصادر وقلة المكتوب عنها بحيث لا تتفاوت البضع شذرات أوردها بعض الرحالة خلال زيارتهم للمنطقة، وبعض الكتابات التي وردت من قبل المؤرخين. كما وان المنطقة كانت كماً مهملاً لايشار إليها إلا من خلال كتابات عابرة وغير متخصصة.

وقد ساهمت الدراسة في محاولة علمية علي مقدرة فهم التحولات السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي اكتنفت السودان في ذلك الوقت والتاريخ، وقد توصل إلي أن الفترة من 1584-1821م كانت عهداً أو عصراً للتحولات الثقافية والحضارية والسياسية وهي الملمح الأول والرئيسي فيما صارت إليه بلاد السودان حيث ساهمت في تشكيل الواقع السياسي والديني والاجتماعي علي سودان اليوم.

عليه أصبحت الفترة العثمانية في السودان فترة أساسية في إعادة وفهم التاريخ النوبي الإسلامي وإعادة تركيب التطور التاريخي في السودان. وحتى يتم الوصول للمعرفة الكلية والإلمام التام بفترة الوجود العثماني في السودان في تلك المناطق لابد من إجراء المزيد من

الدراسات التفصيلية المتخصصة لكل هذه الأوضاع السياسية، العسكرية، الدينية، الاقتصادية والاجتماعية وإجراء عمليات تنقيب علمية دقيقة ومكثفة بها، ولابد من وضع اعتبار خاص لمعظم هذه المواقع المهددة من قبل السكان وكذلك وقوعها بالقرب من المواقع السكنية والزراعية وفيضان النيل (مواقع شمال السودان) مما يعرضها لدمار كامل ومستمر، وهذا يقود إلى اندثار معظم التفاصيل المعمارية والأدلة الأثرية الأخرى ويجعل فرص دراسة هذه التفاصيل محدودة وذات فائدة اقل إن لم يتم الإسراع وبأسرع فرصة ممكنة لدراستها قبل أن تصل لمرحلة الدمار الكامل.

المراجـــــع:

المراجع باللغة العربية:

1/ **الاثار العثمانية في منطقة المحس 1584–1821م** –عبدالرحمن ابراهيم سعيد – رسالة ماجستير- غير منشورة – قسم الاثار – جامعة الخرطوم -2005م.

2/ **الاسلام والنوبة في العصور الوسطي**- مصطفي محمد مسعد-القاهرة-1960م.

3/ **الخندق: التاريخ، الغدوة والانساب** - محمد احمد عبدالحميد- دار عزة للنشر -2004م.

4/ **السودان الشمالي، سكانه وقبائله** – محمد أحمد عوض – القاهرة – 1956م.

5/ **تاريخ السودان القديم**– محمد ابراهيم بكر– مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة 1998م.

6/ **تاريخ السودان المقارن الي اوائل عهد بعانخي** – حسن سليم– دار القومية العربية للثقافة والنشر – بدون تاريخ.

7/ **تاريخ دخول المسيحية في المماللك النوبية القديمة والسودان الحديث** –الأب جورج فانتيني – الخرطوم – 1978م.

8/ **جغرافية وتاريخ السودان**- نعوم شقير -بيروت-1972م.

9/ **رحلات في بلاد النوبة 1793–1817م**- جون لويس بروكهاردت -ترجمة فؤاد اندوراس-القاهرة-1959م.

الأوراق العلمية:

1/ "**الاثار العثمانية في السودان**"- انتصار صغيرون الزين-مجلة ادوماتو-العدد الثامن-ص89-102-الرياض-2003م.

2/ "**الاثار الاسلامية في اقليم المحس**" – عبدالرحمن ابراهيم سعيد2 – مجلة اداب -محكمة – مجلة كلية الاداب – جامعة الخرطوم – العدد31-ص ص311-339 -2013م.

المقابـــلات الشخصيـــــــة:

1/ بروفيسور علي عثمان محمد صالح (مدير مشروع المسح الاثاري والتراثي لمنطقة المحس) – قسم الاثار – جامعة الخرطوم –2016م.

المراجع باللغة الانجليزية:

1- **Etudes Nubiennes ch**.Bonnet (edid). Adams,N.K 1992 Vol.1.pp.329-340.Geneve.

2- "**The Turks on the Middl Nile**" Alexander,J 1996:,ANM,vol.7,pp.15-35,Lille.

3- "Qalat Sai: The Most Southerly of the Ottoman Fortress in Africa, Alexander,J : 1997-SARS Bulletine, No.1,pp:16-19, London.

4- "**The Archaeology and History of the Ottoman frontier in the Middle Nile Valley**, Alexander,J: 2000-911-1233AH,1504-1820AD"Adumatu.VI.1,pp-47-61.Riyadh.

5-**Seyahatuamesi:Misr,sudan,**Habes: Evilya,Celbi: 19381972-80,Istanbul.